مهمة الوقاية والتحسيس من مخاطر المخدرات

السيد: ميهوبي فوزي

مخبر الوقاية والأرغنوميا، جامعة الجزائر

مدخل:

يقصد بمصطلح الوقاية الإشارة إلى أي فعل مخطط، نقوم به تحسبا لظهور مشكلة معينة، أو مضاعفات لمشكلة كانت قائمة أصلا، وذلك بغرض الإعاقة الجزئية أو الكاملة للمشكلة أو لمضاعفاتها، أو للمشكلة ومضاعفاتها معا (مصطفى سويف 1996).

ويعتبر ميدان التعاطي والإدمان من أنسب الميادين للأخذ بهذا المقصود نمن الواجب أن تسعى الدولة والمواطنون إلى اتخاذ إجراءات الوقاية بكل ما أوتوا من جهد وإنفاق قبل استفحال الظاهرة.

لقد تفشت ظاهرة التبعية والاعتماد في كل شعوب العالم، وأصبحت خطرا يهدد العالم والأسرة، فاعتماد المواد النفسية خطر يهدد الدول الصناعية المعتمدة على التكنولوجيا، كما يهدد الدول النامية التي تعاني من سوء الأحوال الاقتصادية، والجزائر كغيرها من بلدان العالم لم تنج من هذه المشكلة خاصة في العشرية الأخيرة، حيث أصبحت البلاد هدف المهربين لتمرير سلعهم نحو أسواق أوروبا والشرق الأوسط، هذا ما أكدته المصلحة المركزية لمكافحة المخدرات عام 1997. (سمية منصوري 2001).

ومهما يكن، فإننا نجد مطبوعة للدكتور طارق دندان (بدون تاريخ، ولكنها نشرت بعد (1990) حيث نقرأ فيها أن تحقيقا قد أجري في سبعة أقسام في المستوى الثانوي وتبين من عدد الإجابات التي بلغت 327 إجابة أن 20% من التلاميذ قد تعاطوا المخدرات داخل الثانوية، وأن 70% منهم قد أجابوا بالنفي. وأن 47% منهم قد تعاط والمخدرات خارج الثانوية وأنه يوجد بين هذه النسبة 13% قد تعاطوا المخدرات يوميا، وأن 19% تناولوا المخدرات أحيانا فقط، كما تبين هذه المعطيات أن 30% من المتعاطين للمخدرات يدخنون سجائر الشيرة (الحشيش)، وأن 30% يتناولون الأقراص المخدرة، لا يمكن اعتبار الأرقام المذكورة ذات قيمة إحصائية دقيقة، ولكنها تعطي فكرة عن وجود الظاهرة في الأوساط المدرسية مما يستدعي الاهتمام والتكفل بها بصفة جدية قبل استفحالها، واتخاذها أشكالا معقدة.

ونظرا لاقتران تعاطي المخدرات بالجريمة والبغاء وغيرها من السلوك المنحرف، فإنه يخشى أن تنتشر ببلادنا ظاهرة ارتباط تعاطي المخدرات بداء السيدا خاصة عند استعمال الحقن في تعاطي المخدرات (مصطفى عشوي1995)، وللتفصيل في الموضوع نستهدف الفئات الاجتماعية باعتماد التقسيم الطبيعي لها وبحسب المهام والتخصصات.

1. الأولياء:

إن المشكلة في حد ذاتها تتطلب تدخل مجموعة من الأطراف لحلها مثلما كان لهم دور في التقليل من خطورتها لسوء التقدير أو لانعدام المعلومة عنها أو لعدم الدراية بها لهذا يجب أن يتم تحسيس الأولياء بنتائج إهمال مصلحة أبنائهم وإعطائهم تفسيرات دينية بدون تعصب (M.J.S1999) (مليكة رمرام 1998).

وهذا لا يكون إلا بكسر جدار الصمت لديهم وجعل المناقشة ضربا من ضروب العلاج النافع وحتى يكون ذلك ذا منفعة أشمل عليهم بالاتصال بكذا من المعلمين والنفسانيين والأطباء ومحاورتهم عن كل ما يخص العمل الوقائي الذي يهدف إلى توعيتهم وإقناعهم بأهمية دورهم التربوي.

لقد تبين لنا أن للإدمان أعراض خارجية يجب الإلمام بها والتعرف عليها والعمل على محو آثارها من نفوس الأبناء، وإن دل هذا عن شيء فإنما يدل على الدور الذي يلعبه الأولياء في تنشئة الأبناء وهذا لا يتم إلا إذا كان جو الأسرة متزنا هادئا يزيد من ثقة الأبناء بأنفسهم وبالعالم الذي يتعاملون معه. (عبد الله الرشدان، نعيم جعنيني 1994، سمية منصوري 2001). ومنه يكون محيط الأسرة عاملا مؤثرا في بناء الشخصية السوية في مراحل الطفولة للأبناء. وبمثل ما تبني الخلق السوي تهدم وتضعف القيم السلبية لديهم، بفضل التوجيه والحوار والتوعية على أسس تربوية سليمة لتجنب السلوكات المنحرفة.

وللمحيط الأسري قيمة عظمى في نفوس الأبناء فتصدعها هو تصدع للمقومات الخلقية لديهم، وقد بينت دراسة (szapecznik et al) (سمية منصوري 2001) أن إدماج الوالدين له فعالية في عملية الوقاية والتحسيس والإرشاد. وخاصة إذا توفر الحوار المستمر. وإعطاء الفرصة للتعبير عن وجهات نظرهم المختلفة وما نجاح بعض الأولياء في تربية أبنائهم إلا دليل على ما سبق ذكره لأنهم كيفوا أنفسهم وحاجيات أبنائهم.

2. المؤسسات التعليمية:

من المعروف عند العام والخاص أن المؤسسات التعليمية هي العامل المؤثر الثاني بعد البيت وكل ما تعمل هذه المؤسسات عليه هو شرح الإجراءات التشريعية والقانونية الخاصة بالإدمان ومنه القانون (05 / 85) الخاص بحماية الصحة العمومية (M.J.S 1991) (مليكة رمرام 1998) لمساعدة التلاميذ للوصول إلى اتخاذ التدابير اللازمة بالاعتماد على أنفسهم عند الحاجة وفي الأوقات الحرجة، وحثهم على القيام بأعمال فكرية، اجتماعية وثقافية مروحة عن النفس، وهذا ما يساهم في تكوين شخصياتهم المستقلة شريطة أن تكون نابعة عن القيم الصحيحة، والابتعاد عن الانحراف. يجب أن تقوم المؤسسات التربوية والجامعية لطرح المشكلات المتعلقة بالموضوع ومناقشتها للتوصل إلى حلول تخدم الجميع.

3. الشباب:

أما فيما يخص الشباب فإن تزويدهم بالمعلومات الوقائية الصحيحة بدون مغالاة ولا ابتذال يجب أن يكون بطريقة صحيحة (سمية منصوري 2001) تجعلهم يكتسبون سلوكا صحيا وقائيا، هذا بالإضافة إلى الاهتمام بالمادة وتوسيع الوقاية حتى تشمل المواد المشروعة (سجائر وكحول ..... الخ) وتنمية شعور واضح بتقدير وتقبل الذات لديهم (فاروق عبد السلام (1993) لهذا يجب أن نجعلهم يدخلون في تجارب حوارية غنية وهادفة تمدهم بالقدرة على إيجاد حلول لمشاكلهم وكذا الإبداع في النقد ما يسمى " التفكير الإبداعي النقدي".

يمكن أن نقول أن تطوير تقدير الذات لا يتم إلا بتشجيعهم ودفعهم إلى تعلم أسلوب القيادة وتقبلهم للتبعية مع الإشارة إلى الأدوار والاتجاهات الاجتماعية المناسبة التي يكتسبون في حياتهم زيادة عن العادات السليمة المتوفرة لديهم. والمعلومات والحقائق التي يتم تزويدهم بها ما هي إلا منفذا لهم لمعرفة خبرات وتجارب الآخرين وتمنحهم فرصا جيدة للتقليد من خلال تفاعلهم مع بعض (عبد الله الرشدان ونعيم جعنيني 1994، سمية منصوري 2001).

إن إزالة الحاجة إلى المخدر لا يكون إلا بإزالة المشكلات الاجتماعية والسيكولوجية أو التخفيف منها مع تدعيم الجانب الروحاني لديهم وتقويته، ولا أحد ينكر أن المواظبة بصفة عامة بنمط عقلاني من التفكير ونظم معرفية منطقية تحرك انفعالاتهم وسلوكهم وتتحكم في معارفهم وأفكارهم وإعادة تركيب البنية المعرفية عند المتعاطين من خلال خلق معتقد صائب لديهم.

لقد تبين من خلال الدراسات والتجارب السابقة أن تشجيع الشباب في نشاطاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية هو بديل لسلوك التعاطي بحيث يرسخ قيم الرفض للاعتقادات الاعتمادية الشائعة والخاطئة والمقبولة بين معظم المتعاطين ويصححها مع التأكيد على مزايا الصحة الجيدة والتحرر والابتعاد عن العادات السيئة.

إن فهم المتعاطين في حد ذاته مفتاح لحل ألغازهم فتوجيههم ومساعدتهم دليل على أننا لا نحكم عليهم ونعدمهم ونهمشهم لأن الحكم المسبق عليهم يعتبر رفضا لهم من طرف المجتمع لهذا فإشراكهم في تنشيط حصص إذاعية أو تلفزيونية أو كتابة المقالات الصحفية وإجراء التحقيقات وغيرها يعتبر حبل النجاة لهم وهكذا يصبح عنصرا فعالا ومسؤولا ومساهم في عملية العلاج مما ينشئ لذة بديلة يجب أن تعاش وتجسد في نشاطاتهم.

4. المجتمع:

لقد اتضح أن للمجتمع أثر في نفس الكائن لذا فهو يؤثر فيه ويتأثر به، ويتغير به من حيث بناء الفرد وتحديد سلوكاته. فعمل الجمعيات الخاصة وما تقدمه من أرقام هاتفية لخلق اتصالات خاصة لرعايتهم (مليكة رمرام 1998) ما هو إلا جزء يخدم بمعية بقية الأجزاء على التكفل النفسي–الطبي للمدنيين الحقيقيين، ولا يكون ذلك مجديا إذا لم يكن مدعوما بتعديل الاتجاهات الخاطئة لكل ما يخص الإدمان على المخدرات واستبدال النموذج الطبي العضوي بالنموذج النفسي الاجتماعي.

إن تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية يمكن لها الحد من هشاشة الأفراد الأكثر نفاذا، بالمقابل يكون للمرافق المختلفة ‘‘ترفيهية، ثقافية، رياضية ... الخ ’’دور في تطوير الظروف الاجتماعية والثقافية مما يؤدي إلى الارتياح الاجتماعي وحياة أفضل.

إن العمل على تكوين رأي عام صائب وموضوعي صادر عن أسس علمية يحد من ظاهرة المخدرات بإنشاء ثقافة مشتركة تساند وتدعم وتشرع العمل العمومي الهادف في كفة أخرى (Maestracci 1999، سمية منصوري 2001)، إلا أن كل هذا يعتمد بصفة عامة على منهجية علمية نافعة وفعالة.

5. الهيئات المختصة والسلطات:

وبحيث لا يمكن تجاهل الهيئات المختصة والسلطات، فإن إحداث نظام تشريعي

قانوني لحماية الشباب من عالم المخدرات واجب وهذا يدفعنا إلى القول بأن سياسية التصدي للمخدرات لا تعني خفض الاستهلاك فحسب بل هو خفض مخاطر الاستهلاك كذلك والحد من الانتقال من التعاطي إلى التعاطي الخطير وهذا يتطلب معرفة الوضعية الحالية والاحتياجات (Nicole Maestracci 2002)

لقد اتضح أن التوعية لا تكفي بل يجب مراقبة منتظمة لمصادر التموين والأسواق الخاصة بها على تبادل الخبرات بين الدول، والمنظمات والهيئات ذات الطابع الإنساني من اجل تعزيز حياة بدون مخدرات، مثل هذا التناول للمشاكل يتطلب التدخل السياسي في كل مجالات المجتمع وعلى مختلف المستويات (Vidal et Coll سمية منصوري 2001).

ومع كل هذا فتكوين مخطط توجيهي مصادق عليه من قبل السلطات الحكومية يمكن أن يساهم في حل المشكل من جذوره هذا إذا ما توفرت الإرادة السياسية الوطنية لمكافحة المخدرات وفسح المجال للباحثين والمختصين واقتراح محاور للبحث مع تشجيعهم.

6. وسائل الإعلام:

إن الإعلام من الوسائل الحديثة المنتشرة و بأنواعها السمعية والمرئية والمكتوبة يمكن أن يلعب دورا فعالا في هذا الإطار (سمية منصوري 2001) تنظيم حملات إعلامية حول النتائج الضارة التي تنجم عن تناول السموم وهذا عبر إنتاج أفلام وثائقية حول الضرر الذي يلحق بالمتعاطين (مليكة رمرام 1998) وكذلك حصص منشّطة من طرف الشباب وتكون مصحوبة ببرنامج وقائي موجه للشباب وكذا تصميم معلقات ومنشورات تعلق داخل الثانويات ودور الشباب .. الخ.

ويجب أن يكون إعلاما علميا موضوعيا راقيا يعتمد على معلومات تكشف عنها بحوث واقية ميدانية وطنية.

7. المختصين والباحثين:

للعلم مكانته في كل المجالات والباحثين والمختصين دور في ما يخص وضع استراتيجية وقائية، وطنية، نفسية، اجتماعية، واضحة، شاملة وكاملة وإعطاء تقييم شامل ومستمر للظاهرة وتوفير المعطيات وتوضيح حجم الخطر الذي يحيط بالشباب والمجتمع

باستعمال منهجية قائمة على أسس ودراسات علمية وتحديد الظروف التي تعمل على دوام السلوك المشكل واستمراره لهذا وجبت دراسة الظاهرة من جميع النواحي وتوضيح ما يمكن عمله لحجب الخطر على الشباب أو التخفيف من حدته، لكن لتوسيع دائرة البحث يجب إنشاء لجان من الخبراء عبر الوطن تكون على علم ودراية بآخر الافكار والبحوث العلمية وكذلك توفير وتطوير المادة العلمية الحديثة (سمية منصوري 2001) مع القيام باتصالات وتبادلات علمية مع بلدان أخرى والاطلاع على تجاربهم مع اقتراح محاور لبحوث نحن في حاجة إليها وتشجيع الطلاب وتوجيههم وفتح الأبواب لهم لتناول موضوع التعاطي من كل جوانبه وتوفير بنك معلوماتي علمي حديث يستعان به في مجال الوقاية والتحسيس .

8. الخاتمة:

للوقاية من الإدمان في المجتمع يجب اتخاذ مجموعة من الإجراءات التي تهدف إلى خفض الاستعمال غير المشروع للمخدرات. وذلك أمر متميز عن القضاء على الاستعمال للمخدرات الذي ثبت أنه أقل واقعية وغير قابل للتحقيق عادة. مع ذلك فإن الخفض يمكن تحقيقه إذا أنقصنا إلى الحد الممكن:

- مستوى الاستعمال غير المشروع للمخدرات.
- عدد الحالات الجديدة للاستعمال غير المشروع.

وللبرامج الوقائية دور هام في تغيير السلوك الإنساني وذلك بتغيير المعارف والقيم عن طريق المناقشة والإقناع وهذا قصد مساعدتهم في عدم الوقوع في هذا الخطر في الحاضر والمستقبل، إلا أنه في حقيقة الأمر يستلزم إمكانيات علمية ومادية أوسع كما يتطلب تكثيف جهود مختصين نفسانيين واجتماعيين وباحثين وتربويين وأولياء وأساتذة.

9. المراجع:

1- مسيرة الطاهر، فاروق عبد السلام، يحي مهني. " مدخل إلى الإرشاد التربوي النفسي " دار البشائر الاسلامية. الطبعة الثانية 1993.

2- مصطفى سويف. " المخدرات والمجتمع "عالم المعرفة 1996

3- مصطفى عشوي." دراسة أولية للإدمان بالوسط المدرسي " المجلة الجزائرية لعلم النفس وعلوم التربية. العدد 6 / 1995.

4- بوروح شاورة " البعد الاجتماعي لظاهرة الإدمان على المخدرات في الجزائر " المجلة الجزائرية لعلم النفس

وعلوم التربية العدد 6 / 1995.

5- سمية منصوري. " دراسة وبائية حول تعاطي المواد النفسية لشباب تتراوح أعمارهم ين 15 و 33 سنة في بومرداس " جويلية 2000. رسالة دكتوراة دولة. جامعة الجزائر 2001.

6 – مليكة رمرام، " دور البرامج الوقائية في تغيير اعتقادات الشباب الخاصة بظاهرة الإدمان على المخدرات " رسالة ماجيستير. جامعة الجزائر 1998

7- Nicole Maestracci. « Qu'est –ce qu'une politique publique ? drogues savoir plus 2002